PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(3): 286-300
ISSN:1553-6939

NARRATIVE TENSE ISSUE: FUNDAMENTALS, CONCEPT, AND LEVELS.

Mouna Barhoumi[1]

[1]Assistant Lecturer Grade B, Echahid Cheikh Larbi Tebessi University-Tebessa (Algeria).

The E-mail Author: mouna.barhoumi@univ-tebessa.dz

Received: 08/2023 **Published: 03/2024**

Abstract:

Tense issue is an ancient one that occupied an important range of human thought and different fields of research such as natural sciences, physics, philosophy, grammar, rhetoric, linguistics and criticism. It was considered as natural phenomenon for being a result of natural movements, philosophers see in it an existential movement, for historians it is a space for historical events, and in linguistics it is morphological and grammatical tense; the first is indicated by the form of the verb out of sentence, the second is the sentence or the context's tense which is not indicated by the isolated word but by the convergence of presumptions in the sentence. Grammarians and philosophers have the same tense definition, both believe in a correspondence relation between linguistic world and natural one on the basis that a temporal relation links man to language. However, linguistics gave a different perspective, Benvenist distinguished between physical tense and events tense, he proposed a notion of linguistic tense that emphasizes the human experience, this tense defines its centre through the discourse actuality.

Structuralists consider tense the principal component of narrative form which is separated from its temporarily.

This research aims to scrutinize ways the issue of tense developed in different disciplines and to analyse how this issue is assimilated by narratologist and its functions mechanisms in the narrative text.

Keywords: Tense, novel, narration, narratology, narrative tense.

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(3): 286-300
ISSN:1553-6939

إشكالية الزمن السردي: أصوله، مفهومه، مستوياته

منى برهومي[1]

[1]أستاذ محاضر ب، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي – تبسة (الجزائر).

ملخص:

إنَّ مقولة الزمن ضاربة في القدم، فقد شغلت الفكر الإنساني واجتاحت ميادين متعددة كالعلوم الطبيعية والفيزيائية والفلسفة والنحو والبلاغة واللسانيات والنقد، وقد عُدَّ ظاهرة طبيعية لما تسير به الطبيعة، وعُدَّ أيضا حركة وجود عند الفلاسفة، وعند المؤرخين هو فضاء لأحداث تاريخية، وفي اللغة هو زمن صرفي وزمن نحوي، ولم يختلف النحاة والبلاغيون في تحديدهم للزمن عن الفلاسفة، مُعتقدين بوجود علاقة تطابق بين العالم اللغوي والعالم الطبيعي انطلاقا من فكرة وجود علاقة زمنية بين الإنسان واللغة وأما اللسانيات فقد حَادَتْ عن ذلك، من خلال تمييز بنفنست بين الزمن الفيزيائي والزمن الحدثي ووضعه مفهوما للزمن اللساني الذي تتجلى فيه التجربة الإنسانية وهذا الزمن يُحدِّدُ مركزه بِرَاهِنِيَّة الخطاب. وعند البنيويين، يُعَدُّ الزمن المكَوّن الأساسي من مكونات الشكل الروائي، وهو الشكل المنفصل عن زمنيَّتِه.

إنَّ السعي الذي تصبو هذه الدراسة إلى تحقيقه هو محاولة البحث في كيفيات تطوّر مقولة الزمن بين العلوم من جهة والبحث في كيفية تمثل مقولة الزمن عند علماء السرد وآليات اشتغاله في النص السردي من جهةثانية.

الكلمات المفتاحية: الزمن، الرواية، السرد، السرديات، الزمن الروائي (السردي).

مقدمة

أثار الزمن اهتمام الكثير من الدارسين في مجالات معرفية متعددة، ولعل من بينها تلك الصرخة التي عبر بها القديس أوغسطين عن موقفه من الزمن، ففي الكتاب الحادي عشر من "الاعترافات" قال: "فما هو الزمن يا ترى؟ من يفسره بسهولة واقتضاب؟ من يستطيع أن يكوّن عنه –ولو في الذهن– فكرة واضحة يمكن أن يكون يعبر عنها باللفظ؟لكن أيّ مفهوم يتردد في حديثنا مألوفا ومعروفا أكثر من الزمن؟ نحن نفهمه، لعمري، عندما نتحدث عنه، ونفهمه أيضا، عندما نسمع غيرنا يتحدث عنه، ماذا هو الزمن إذن؟ إنْ لم يسألني عنه أحد فأنا أعرفه، وإن أردت أن أفسره للسائلين لم أعرفه."[1](أوغستينوس، 2015)

سؤال عميق أثاره أوغسطين في اعترافاته قد يقودنا إلى العودة إلى زمن أسبق حيث كان الأفلاطونيون يؤمنون فيه بأزلية الكون وأزلية المادة، ويرى أن الزمن هو من صنع الله، ومنه وحده (الله) يَستَمدّ الزمن وجوده، ثم يفرّق بين الأزل

المطلق الذي لا ماضي له ولا مستقبل وبين الزمن الذي لا وجود له إلا في وعيينا فقط، وبهذا يصبح الزمن عنده على حد تعبير زينب الخضيري: "هو الماضي الغامض الذي يسحقه، من جهة، الماضي الذي ابتلع بلا عودة، ومن جهة أخرى، المستقبل الذي لا يمكن الحديث عنه بعد."[2]

يحلّل أوغسطين الزمان إلى ثلاث مراحل: الحاضر والماضي والمستقبل، وفي محاولة منه للاقتراب من حقيقة الزمان يؤكد أننا لا نستطيع أن نقول أن أيًّا منها موجودا، فالحاضر إذا كان حاضرا على الدوام فهو ليس زمانا بل هو الأبدية (الأزل المطلق)

ونهج الفلاسفة على منهجه، فتعددت منظوراتهم التي انطلقت من اليومي إلى الكوني والأنطولوجي، ودخلت مجالات كثيرة فلكية ومنطقية وسيكولوجية وغيرها، وكانت حصيلة تصوّر مقولة الزمن تجد اختزالها العلمي والمباشر مجسدا بجلاء في تحليل اللغة، وبالأخص في أقسام الفعل الزمنية التي نظر إليها من خلال تطابقها مع التقسيم الفيزيائي إلى ثلاثة أبعاد؛ الماضي، الحاضر والمستقبل. و كذلك في مجال السرد حيث يتفرّد الخطاب السردي بنظام زمني خاص في ذاته ، و محاولة الكشف عن ذلك النظام هي محاولة لضبط إيقاع النص السردي من خلال دراسة المستويات الزمنية .

يتموضع إشكال هذه الدراسة ضمن هذا السياق المعرفي حيث تسعى إلى البحث في كيفيات تطوّر مقولة الزمن بين العلوم من جهة والبحث في كيفية تمثلها عند علماء السرد وآليات اشتغالها في النص السردي من جهة ثانية.

وفي سبيل مقاربة إشكال هذه الدراسة اعتمدت منهجية تنتقل من العام إلى الخاص، وفق ثلاثة عناصر،

- أصول مقولة الزمن السردي
- الرواية الزمن
- الزمن و السرديات

1. أصول مقولة الزمن السردي:

1.1 الزمن واللسانيات من لاينس إلى بنفينيست:

تتحدد قيمة الزمن بالمجال الذي تندرج ضمنه (فلسفي، منطقي، سيكولوجي، لساني...)، إذ يعطي كل مجال دلالة خاصة ويتناوله بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري والنظري.

وقد تحدّدت علاقة زمن الفعل في اللغة بأصوله الفلسفية والمنطقية، فارتبط تحليل الزمن في اللغة بالزمن الفيزيائي، ثم تطور الدرس بتطور اللسانيات، حيث انطلق البحث اللساني بمساءلة مقولة الزمن من منظور جديد، ذلك ما بدا من خلال ما قام به اللساني جون لاينس (Lyons) الذي انطلق من التقابلات الثلاثة كما حددها النحويون القدامى على مستوى الزمن وأقاموا التقسيم الثلاثي؛ الماضي والحاضر والمستقبل، وافترضوا لهذا التقسيم طابع الكلية والشمولية.[3]

وانطلق "لاينس" في مقاطعة هذا التصور من خلال نقطتين:

- أن الزمن لا يوجد في كل اللغات؛
- أن التقابلات ليست زمنية محضة.

إن الخاصية الأساسية للزمن كما حددها 'لاينس' تكمن في "ربط لحظة الحدث في الجملة بلحظة التلفظ (الآن) ،ومنها لاحظ أن "التقابل الحقيقي هو بين الماضي لأن الماضي يُحيل إلى ما قبل الآن، بينما اللاماضي ليس مجددا بما هو مُعاصر للحظة التلفظ".[4]

كما لاحظ أن ما هو معروف كمستقبل في الإنجليزية من خلال الفعلين المساعدين (Will-Shall) ليسا للاستقبال دائما، وأن المستقبل يدخل ضمن الموجه (Mode) وليس ضمن الزمن، وقد حاول من خلال ذلك أن يربط لحظة الحدث بلحظة التلفظ لإلغاء الماضي والمستقبل.

أمَّا 'إيميل بنفنست' فقد وضع مفهوما للزمن اللساني من خلال تمييزه بين الزمن الفيزيائي والزمن الحدثي، باعتبار الأوّلخطي ولامُتَنَاهٍ وله مطابقته عند الإنسان، وهو المدة المتغيرة والتي يقيسها كل فرد حسب هواه وأحاسيسه وإيقاع حياته الداخلية،والثاني هو زمن الأحداث الذي يغطي حياتنا كمتتالية، واعتبر بنفنست أن مفهوم الزمن بشقيه لا يمكن إدراجه ضمن مقولات التجربة الإنسانية الزمانية، لأن الزمن الوحيد في ظنه والذي تتجلى فيه التجربة الإنسانية هو الزمن اللساني، "وهذا الزمن مرتبط بالكلام ويتحدد وينتظم كوظيفة خطابية".[5]

ويحدد مركز هذا الزمن بِرَاهِنِيَّة إنجاز الكلام (الجهاز الشكلي للتلفظ)، ومن ثم يمكن إقامة التقابلات الزمنية انطلاقا من هذا الحاضر (إنجاز الخطاب)، ومن هذا الحاضر (راهنية إنجاز الكلام) يمكن كشف لحظتين زمنيتين:

- لحظة حدوث حدث غير معاصر للخطاب، نستدعيه عبر الذاكرة.
- حدث لم يقع في الحاضر، لكنه سيكون في المستقبل.

وبتحديد هاتين اللحظتين يتحدد الزمن الوحيد عند بنفنيست الذي "هو حاضر التلفظ الذي على أساسه تُقام كل التقابلات، لأن حكي ما وقع يتحدد انطلاقا من هذا الحاضر الذي هو زمن المتكلم والسامع والذي من خلاله تتم التجربة.[6]ومن ثم فإنَّ نقطة الاستدلال الزمنية لا توجد إلا داخل الخطاب.

بعد تمييزه بين الزمنين الفيزيائي والحدثي، وصل بنفنيست إلى القول بأن مفهوم الزمن بشقيه لا يمكن إدراجه ضمن مقولات التجربة الإنسانية الزمنية لأن الزمن الوحيد الذي تتجلى فيه التجربة الإنسانية هو الزمن اللساني.

وعن تعليقه على تقسيم القدماء للفعل الفرنسي إلى جهات زمنية؛ ماضي بسيط، ماضي مركب قال "بأن هذه الجهات الزمنية تتوزع بحسب ثلاث مقولات أساسية (الحاضر، الماضي، المستقبل)، وهي مقولات غير قابلة للنقاش من حيث المبدأ، وهذه التقسيمات المحورية أو الجزئية المدرجة ضمن المقولات الثلاثة تبقى بعيدة عن الحقيقة من حيث استعمالاتها في السلسلة الكلامية بطريقة منظمة، لأن أي مؤشر زمني يساعد على الكشف عن القيمة الزمنية المحمولة في أي شكل موجود قيد الاستعمال، ومحاولة ربط الأشكال الفعلية من حيث تعارضاتها الموجودة على مستوى بنياتها المادية بالتقسيمات الزمنية يخلق صعوبة أكبر ناتجة عن التعارض الموجود بين الأشكال المركبة والبسيطة".[7]

ويضيفBenvenistمستنتجا أنَّ الماضي البسيط والحاضر المركب يُعَبِّرَان على الماضي في الاستعمال القديم، ولكن الفرنسية الحديثة تستعمل الماضي البسيط في الكتابة والماضي المركب في اللغة المنطوقة.[8]

انطلق بنفنسيت من فكرة مفادها أن "اللغة تلقي على العالم شبكة زمنية قائمة على عملية الكلام نفسها"[9]،ولكنه قصر ذلك في أحد الاستعمالين الممكِنَيْن للغة ويعني الخطاب "أي التلفظ التي يفترض وجود متكلم وسامع والذي يقصد فيه الأول التأثير على الثاني"[10].

وأمَّا في الاستعمال الثاني أي التأريخ يقول "أن المتكلم يسعى إلى أن ينسحب من كلامه الخاص به"، وقد نبه ديكور في المعجم الموسوعي الجديد إلى "أن هذا النمط من التلفظ الذي يزيل الإشاريات لا يمكنه أن يتضمن التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل ولا يكون حينئذ للأزمنة النحوية الخاصة إلاّ وظيفة الإشارة التي تُقَدِّم الأحداث أو تُؤخِّر بعضها بالنظر إلى البعض الآخر، فهي تكون نسقا مختلفا تمام الاختلاف عن نسق الخطاب لا ينتظم بالنظر إلى لحظة الكلام"[11].

وفي تحليله لمقولة الزمن أكد ديكرو في المعجم الموسوعي في علوم اللغة أن الأمر يتعلق بالمفاهيم الدلالية للزمن لا النحوية، وضمن السياق المعرفي نفسه يقترح مبدأين لتصنيف مختلف المفاهيم:

المبدأ الأول: هو دراسة التنظيم الدلالي للملفوظ.

المبدأ الثاني: هو اعتماد مؤشرات الجهة (Aspect) والتي تكون دائما في المحمول الذي لا يشكل فقط موضوع كيفية أو حدث معين، بل أيضا نمط تجلي زمن الأحداث أو الكيفية.

وأمام هذا كله وضع المنطقي **رايشنباخ** نسقا يبين فيه علاقة زمن الأحداث بالتلفظ، سواء تعلق الأمر بتحديد زمن ما سماه بالموضوع [أ] أو الحدث [ب].

ولتحديد زمن واقعة ما اقتضى تدخل ثلاث نقاط هي:

- لحظة الكلام [S] Point of speech
- لحظة الإحالة [R] Point of reference
- لحظة الواقعة [E] Point of event

استوحى ديكور تمييزه بين الموضوع [أ] والحدث [ب] من إيشنباخ، ولكنه توخاه من منظور مختلف، وعنده "لا يتعلق الأمر بتفسير كيف تُعبِّر اللغة عن الترتيب الزمني، وإنما يتعلق بوصف إقحام الإشارات الزمنية في الحركية الخاصة بالخطاب، هذا وإن [أ] أي اللحظة التي يتكلم عنها المتكلم (الموضوع) تكون تأويلا لـ[R] (لحظة الإحالة)، نفهم [R] على أنها اللحظة التي ينظر إليها المتكلم، وعلى أنها اللحظة التي يزعم أنه يهتم بها في خطابه، أما [ب] (الحدث)، فإنه يمكن تقريبه من [E] (لحظة الواقعة)،فهو يتعلق بالوقائع التي يصف بها الخطاب الفترة التي يتكلم عنها، ويسجل إدخال[S] (لحظة الكلام)، إن كل تحديد زمني، سواء تعلق بالموضوع أو بالحدث يقع انطلاقا من التلفظ.[12]

إن الاشتغال بمقولة الزمن لم يكن حكرا على العلوم الطبيعية والفيزيائية والفلسفة واللغة، وإنما انتقل إلى السرديات، فكما راهنت اللسانيات على الانتقال بالزمن من التصور الفلسفي إلى رَاهِنِيَّة إنجاز الخطاب كمرجعية زمنية؛ كانت السرديات تبحث في القضية نفسها.

2. الرواية والزمن:

قبل الولوج إلى عالم السرديات وكيفية تمثلها لمقولة الزمن والحديث عن آليات اشتغالها داخل النص السردي عامة والروائي خاصة، كان من الضروري الوقوف عند علاقة الرواية بالزمن بما هو قيمة داخل الرواية، وباعتبار(الرواية) هي الزمن في حد ذاته.

1.2. الرواية بما هي الزمن في ذاته:

إنالاهتمام بالزمن أشد ما نلمسه في الرواية، فقدعرّفها البعض من خلال الزمن، وسَنُورد تعريفات لها منها؛ أن الرواية هي فن الزمن، وأن الرواية هي الزمن في ذاته،[13] وبأكثر عمق هي: "تجربة زمنية مدركة من خلال التمثيل".[14]

وقد تظهر قيمة الزمن حسب 'بول ريكور' في كونه لا نستطيع صياغة حدوده الزمنية من خلال خطاب مباشر، وإنما تشترط توسط الخطاب المباشر الذي يوفره السرد، ويزيد هذا الرأي تأكيدا مقولة 'جيرار جينيت' الذي يُصر على قيمة الزمن في الرواية، فحسبه يستحيل على الكاتب أن لا يُمَوْقِعَ الأحداث في الزمن، لكنه يمكن أن لا يُعَيِّن المكان الذي تحدث فيه.[15]

2.2. الزمن بوصفه قيمة داخل الرواية:

صحيح أن الرواية ارتبط مفهومها عند بعض الدارسين بمقولة الزمن، لكن هذا لا يعني أنها مجرد مُسجل للزمن في الواقع، بل هي "ككل الأعمال الفنية مغالية للزمن(...)فهي جسر يصل الحاضر بالمستقبل(...) وإن بديع انغراسها في الزمن لَيكمن في تصديها للحوادث والأشياء الموزعة في الطبيعة وفي الواقع بكيفية فوضوية مبعثرة بُغية تنظيمها"[16].

وتكمن الوظيفة الحقيقية للرواية في لمّ شتات الأحداث ووضعها في مسارات زمنية محدّدة ، فيتعيّن معناها وتتجلى مدلولاتها بحسب السياقات التي وظفت فيها.

وقد نفهم طبيعة العلاقة بين الرواية والزمن من خلال ما سبق على أنها علاقة قائمة على التفاعل (فعلهُ هو فيها، وفعلها هي فيه).

يقول عبد المالك مرتاض: "الزمن خيوط ممزقة أو مطروحة في الطريق، غير دالة ولا نافعة، ولا تحمل أي معنى من معاني الحياة والفعل السردي (الحكاية أو الرواية) هي التي تبعث في الزمن الحياة والزينة واليقظة والدلالة"[17].

قد نقرأ مما سبق أن في ذلك تناقضاً في الطرح، فكيف يمكن أن تكون الرواية هي الزمن في ذاته؟ ومقابل هذا كيف يمكن أن يكون الزمن خيوطا ممزقة وغير مجدية؟

ولتوضيح ذلك نقول إنّ الزمن خارج الرواية لا معنى له، وإنّ الأحداث من غير زمن لا يمكن أن تحدُث، وبهذا يكون الكاتب قد بنى في روايته بتلك الخيوط الممزقة للزمن نسيجا وعالما إبداعيا فريدا وخاصا يعبر عن التجربة الإنسانية.

يلتقي 'مرتاض' مع 'بول ريكور' في طرحهما وفي تحديد الزمن وعلاقته بالحكي، "فالزمن لا يمكن إلا أن يكون محكيا، ولا وجود للزمن خارج تجربة إنسانية تعبر عن نفسها من خلال فعل ورد فعل، أي يجب أن تكون منظمة في الممارسة الإنسانية لا خارجها، لذلك فالوجود الوحيد الممكن هو الوجود المشخص"[18].

يضعنا تعريف بول ريكور للزمن أمام التساؤل الآتي:

- كيف لا يصير الزمن إنسانيا إلا إذا كان محكيا؟
- كيف يكون الارتقاء من الزمن الكوني (المطلق) إلى الزمن الإنساني؟ وكيف ندركه؟

وفي موضع آخر يعتبر 'بول ريكور' أن طابع الزمن هو الطابع المشترك للتجربة الإنسانية المميز والمفصل والموضح من لدن فعل الحكي في جميع أشكاله، فكُل ما يُحكى يَحدث في الزمن ويستغرق زمنا ويجري زمنيا، "ويمكن لأي سيرورة زمنية ألا يُعترف لها بهذه الصفة إلا بقدر ماهي قابلة للحكي بطريقة أو بأخرى"[19].

تتحقق قيمة (valeur) الزمن داخل الرواية، ويصير قيمة في حد ذاته، من خلال فاعليته في بناء وهندسة العمل الروائي أولا، وبوصفه ذلك العنصر الذي لا يمكن أن ندرسه دراسة تجزيئية كالشخصية والمكان، لأنه يتخلل الرواية كلها (في كلمسارها).

3. الزمن والسرديات:

1.3. في ماهية السرد:

السرد قديم قدم الثقافات الإنسانية المختلفة وهو مختلف الأشكال كالخبر والقصة والنادرة والسيرة والرواية، يوجد في كل الأمكنة وكل الأزمنة وفي كل المجتمعات، وليس ثمة شعب دون سرد، والسرد لا يرتبط بخطاب بعينه، وإنما يتسع ليشمل جميع الخطابات الأدبية وغير الأدبية، ويتسع أكثر لبناء علم يهتم به، هو علم السرد أو السرديات.

لئن تداخل السرد narration مع السردي narrative في بعض الأحيان، فإن دراسة 'جيرار جينيت' حول الخيال والخطابة قد حسمت الأمر وأصبح من المفيد إقامة تمييز بين فعل السرد acte de narration وسيرورة سرد الحكاية narrativeparcoursوما بين ما قيل أنه فعل مسرود أو سُرِدَ narrative[20].

وقد تعددت مفاهيم السرد، ويمكن حصرها في الآتي:[21]

يعنيالسرد narration في البلاغة القديمة القسم القصصي من الخطاب الذي تقدم فيه الحكاية على أنها مثل لما يخوض فيه المؤلف من مسائل عامة فهو جزء من الكلام أو الخطاب.

وأما تودوروف فقد استعمله بمعنى الحكاية، كما استعمل رديفًا للكلام باعتباره وسيطا يحمل رسالة ذات مضمون من مرسل إلى مرسل إليه، وهذا الكلام القصصي الموسوم بالسرد هو الذي يميز التخييل القصصي من سائر أشكال التخييل تكون في السينيما أو الرقص أو في التمثيل الصامت.

وأما جيرار جينيت فقد تناول مصطلح السرد في خطاب الحكاية،[22] وخصَّه بقسم من أقسام كتابه سماه الصوت إلى جانب الزمن والصيغة؛ والسرد عنده هو النشاط السردي الذي يضطلع به الراوي، وهو يروي حكاية ويصوغ الخطاب الناقل لها.

ويميز جينيت في ذات السياق بين فعل الكتابة الذي ينشئه الكاتب وهو فعل حقيقي وبين فغل السرد الذي ينجزه الراوي وهو فعل متخيل.

وفي السرد التخييلي يحضر الخطاب القصصي والحكاية، "ولا يوجد الواحد منهما دون الآخر، وبذلك لا يمكن أن يتصور السرد منفصلا عن الخطاب الذي يصوغه والحكاية التي ينسُجها"[23].

الخطاب القصصي: السرد+ الحكاية+ الخطاب.

قد يتصور خطاب قصصي دون حكاية، ولا تُتَصَور حكاية جارية لا تلتبِسُ بحامل قولي لها (الخطاب) ولا يوجد لهذه أو لتلك دون قائم لفعل إيجادهما، فعل السرد أو السرد.[24]

وفي موضع آخر يذكر جينيت أن السرد يندرج في نسيج من العلاقات الحميمة بين عناصر تدخل في ما يُسميه مقاما سرديا ويحصر هذه العناصر في أربعة: المتخاطب والمكان والزمان، فلا يتصور السرد إلا وهو موصول بهذه المكونات التي يتشكل منها وبها هذا المقام السردي.[25]

ويحضر السرد في النص السردي في أشكال مختلفة منها:

- أن يكون الفعل السردي مختفيا.
- أن يكون الفعل السردي بارزا مختلطا بما يُحكى من وقائع.
- أن يعلن عن فعل السرد.
- أن يكشف عن فعل السرد من خلال قرائن كالمشيرات المكانية والزمانية والأحكام التقويمية.

وتعد السردية فرعا من أصل كبير هو الشعرية، وقد حددت لنفسها موضوعا يتمثل لا في النصوص في ذاتها وإنما في نمط ما من العلاقات التي تتجلى فيها وتحدد النمط السردي.[26]

يحصر هذا التعريف موضوع علم السرد في الخطب السردي الذي هو خطاب تهيمن فيه الصبغة السردية كما ينشغل بلغة السرد أو النظام الأساسي للقواعد والإمكانيات التي يكون أي كلام سردي تحقيقا لها، هدفا للسرديات.

كما أقر جينيت (Genette) في كتابه (الخيال والخطابة diction et fiction 1991) "أن السرديات في جانبها الخطابي من حيث هي دراسة للخطاب القصصي، أو في جانبها الغرضي باعتبارها تحليلا لمكونات الحكاية التي يرويها ذلك الخطاب، ولعل من مكونات الحكاية نجد الزمن".

وكانت بداية الاهتمام بدراسة الزمن من التمييز بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي ويشكل مفهومَا المتن والمبنى اللذان وضحهما توماشوفسكي توجها جديدا في الدراسات النقدية المعاصرة، وخاصة في مجال الشعرية الأدبية، فالمتن الحكائي هو جملة الأحداث القصصية التي ترتبط ببعضها البعض والتي يتم إبلاغنا عنها ضمن العمل الأدبي، أي

الأحداث التي لا تخضع إلى نظام ترتيبي مقصود، والتي يمكن أن تعرض بشكل إبلاغي قصدي (براغماتي) من دون أي صفة تنظيمية لإعادة ترتيب الزمن الطبيعي.

أما المبنى الحكائي فهو تمظهر نظام معين للأحداث نفسها، يعيد هذا النظام ترتيب هذه الأحداث وفق ترتيب جديد الغرض منه غير إبلاغي، إنما إجمالي.[27]

يبدو من خلال وهو الزمن الذي تنتظم في ضوئه الأحداث ويرتبط بالقراءة.

حدد توماشوفسكي ثلاثة أنواع من العلامات الدالة على الزمن في المتن الحكائي:[28]

- الإشارة إلى تاريخ حدوث الحدث؛
- الإشارة إلى المدة الزمنية التي استغرقها حدوث الحدث؛
- قياس المدة التي يمكن أن يستغرقها الحدث أو الخطاب.

ترتبط هذه الحالات بالمتن الحكائي، وليس بالمبنى الحكائي، فالبنية الزمنية في الخطاب الروائي لها حالات أخرى وبصيغ مختلفة تفهم من خلال إدراك الأحداث؛ إن المبنى الحكائي يرتكز على الصياغة والمنظور السردي ودراسة زمنية الخطاب السردي.

2.3. دراسة الزمن في الخطاب الحكائي:

شغلت مقولة الزمن ذهن معظم الروائيين الذين أسهمت تجاربهم في تطوير الرواية من حيث الشكل والطريقة، وذلك من خلال البحث في طبيعته وقيمته، وعلى الأخص علاقته ببنية الرواية، ومن الواضح أن السبب الرئيس في ذلك كما أوضح هنري جيمس أكثر من مرة أن الزمن بوجوهه المختلفة عامل تكييف رئيسي في تقنية الرواية،[29] وأداة لتكسير منطق الزمن الخارجي.[30]

لقد ظهرت محاولات جادة لتحليل الزمن، ولعل أهمها محاولة 'جيرارجينيت' أحد أبرز أعلام البنيوية الذي طور نظريته عن الخطاب الروائي في سياق دراسته لرواية بروست (بحثا عن الزمن الضائع) وذلك بتقسيم السرد إلى ثلاثة مستويات؛ القصة والخطاب والقص وترتبط أبعاد السرد بنواح ثلاث استقاها 'جينيت' من خصائص الفعل الثلاث (الزمن اللغوي والصيغة والصوت).[31]

وفي موضع آخر من كتابه 'خطاب الحكي' ينطلق جيرار جينيت من مقولة لـ 'كريستيان ميتز' يؤكد فيها كون الحكي مقطوعة زمنية مرتين:

- زمن الشيء المحكي؛
- زمن الحكي (الحكي هنا مرادف للخطاب عند تودوروف)

ومن ثم هناك زمنين؛ زمن الدال وزمن المدلول.

يبحث جيرار في نوعية العلاقة بين القصة والحكي من خلال ثلاث مستويات؛ الترتيب (النظام)، المدة، التواتر، والترتيب يأخذ معناه من مواجهة ترتيب تنظيم الأحداث في الخطاب السردي بترتيب تتابع الأحداث نفسها في القصة،[32] ويعني به ترتيب الأحداث في المادة الحكائية (القصة) والترتيب الزمني الزائف (الكاذب) وتنظيمها في الحكي.

وقد ينشأ عن مختلف أنواع التنافر بين الزمنين ما أسماه بالمفارقات الزمنية، أو كما اصطلح عليه تودوروف بالتشوهات الزمنية، وتتجلى من خلال هذه المفارقات مختلف أشكال التفاوت بين الترتيب في القصة والحكي والتي يعطيها مفاهيم خاصة:

- الاستباق: ومعناه حكي الشيء قبل وقوعه.
- الارتداد أو الإرجاع: ويعني تأخير حدث سابق عن الحدث الذي يُحكى الآن.

وأما المسافة الزمنية التي تفصل بين فترة في القصة يتوقف فيها الحكي، وفترة في القصة يبدأ فيها الحكي المفارق فيسميها السعة، ويمكن للمفارقة أن تغطي مدة طويلة أو قصيرة يسميها المدى.[33]

وأما المدة أو الديمومة المتغيرة بين مقاطع الحكاية والمدة الزائفة طول النص وعلاقتها بالحكي، ويضبط جينيت المدة في أربع حركات سردية هي المشهد والوقفة والحذف المضمر والمجمل (التلخيص).

وأما التواتر يعني به القدرة على التكرار في القصة والحكي معًا، ويضبط التكرار في أربعة أنواع الانفرادي والتكراري والتكراري المتشابه والمؤلف.

تكمن جدية طرح 'جيرار جينيت' في ما قاله 'د. إبراهيم السيد' أنه ينتهي فيه إلى نتيجة تجعل هذا التحليل مغزى وليس مجرد جهد عبثي يمتد في الفراغ المطلق بلا معنى، بل يصُبّ آخر الأمر في نتائج تُلقي ضوءا كاشفا على العمل الذي يتعرض طول الوقت لتحليله".[34]

ويمكن أن تمثل مستويات الزمن السردي عند 'جيرار جينيت' في الترسيمة التالية التي تتضمن كل مقولات الزمن عنده.

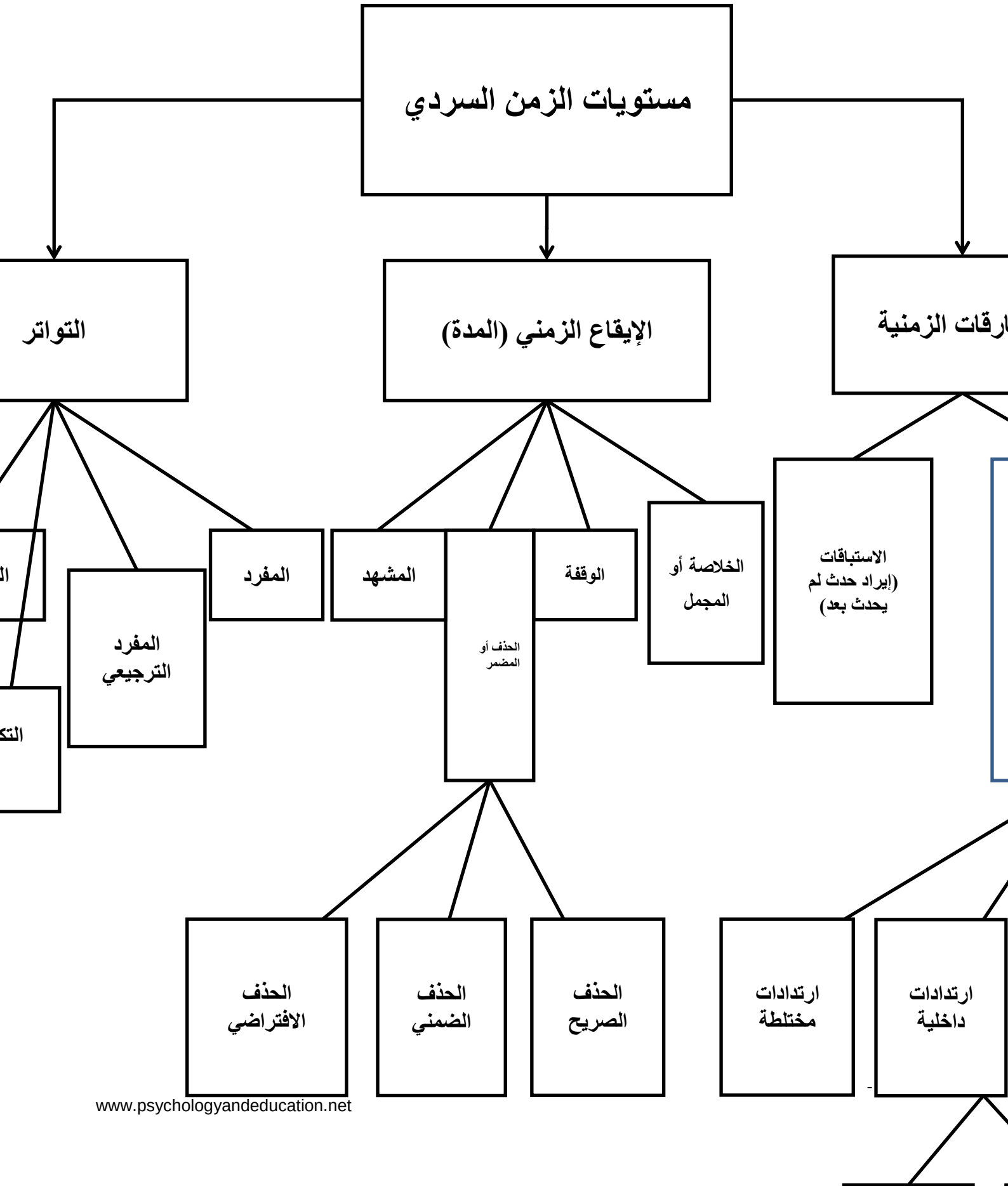
مستويات الزمن السردي
التواتر
الإيقاع الزمني (المدة)
ارقات الزمنية
المفرد
المشهد
الوقفة
الخلاصة أو المجمل
الاستباقات (إيراد حدث لم يحدث بعد)
المفرد الترجيعي
الحذف أو المضمر
الحذف الافتراضي
الحذف الضمني
الحذف الصريح
ارتدادات مختلطة
ارتدادات داخلية

رولان بارث:

أما رولان بارث فقد استلهم فكره من منهج بروب الذي دعا إلى تجذير الحكاية في الزمن، وربط في مقدمة مقاله مدخل التحليل البنيوي للقصة (1966) introduction a l'analyse structurale des récits بين العنصر الزمني والعنصر السببي، وأكد أن المنطق السردي هو الذي يوضح الزمن السردي، وأن الزمنية ليست سوى قسم بنيوي في الخطاب مثلما هو الشأن في اللغة حيث لا يوجد الزمن إلا في شكل نسق، والزمن السردي في رأيه ليس سوى زمن دلالي، أما الزمن الحقيقي فهو وهم مرجعي واقعي (على حد تعبير بروب).[35]

تضمن فكر بارت في البداية ربطه بين العنصر الزمني والعنصر السببي ليؤكد أن المنطق السردي هو الذي يوضح الزمن السردي، وليس العكس، فالزمنية ليست إلا شكل بنيوي في الخطاب ولا يتحقق وجودها خارج هذا النسق (النظام).

"إن بنية الخطاب السردي مماثلة لبنية النظام اللغوي من حيث مكوناتها والعلاقات الوظيفية التي تحكمها، فالوحدات السردية في القصة تمثل وحدات اللسانية في اللغة".[36]

وعليه؛ فإن القصة هي مغامرة لغوية تقرأ من خلال ثلاث مقولات ومستويات بنيوية:

- الوظائف؛
- الشخصيات،
- السرد.

إن الزمن السردي في طرحه ليس سوى زمن دلالي وقد يشرح ذلك في كتابه التحليل النصي – تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة–.

فالتحليل السردي لا يبحث عن مدلولات تامة (أي معجمية ومعاني حسب المفهوم الشائع للكلمة)، فالمعنى عنده: "هو كل نمط من الارتباط المتبادل داخل النص أو خارجه، أي كل سمة في المحكي تُحيل على لحظة أخرى في المحكي".[37]

وآخر ما يصرح به هو الزمن الحقيقي (مرجعي وواقعي) وهي مقولة استقاها من 'فلاديمير بروب' ولعل زمن السرد عند 'بارت' يقابل زمن الخطاب عند 'تودوروف'، والزمن الحقيقي هو زمن القصة، والزمن الأول هو زمن دلالي يتحول إلى قيمة في حد ذاته، أضف إلى هذا أن الزمن الذي يمكن أن ينكسر على مستوى السرد وتتشكل من خلاله المفارقات الزمنية يكون له قصدية دلالية، فالسارد لا يقدم ولا يؤخر الحدث إلا لحاجة دلالية وملء ثغرة زمنية.

تودوروف:

وأما مقولة الزمن السردي عند 'تودوروف' فقد اهتمت بالعلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب، والقصة والخطاب مرادفات لمقولة المتن الحكائي، والمبنى الحكائي عند الشكلانيين.

تُثار إشكالية الزمن السردي عند تودوروف بسبب الاختلاف الجوهري بين زمن القصة وزمن الخطاب، وهو اختلاف يدفع السارد إلى البحث عن طريقة لترتيب هذه الأحداث ترتيبا بعيدا عن الترتيب الطبيعي كأن نسبق النهاية عن البداية.

وتسمى هذه الطريقة بالتعديل الزمني أو ما يسميه السعيد يقطين بالانزياحات الزمنية المتعددة، ولعل الهدف منها هو تحقيق أهداف جمالية تبعا للغايات الفنية التي يقتضيها العمل الروائي وليس بناءً على ما تُمليه عليه مقاصد القصة.[38]

وقد أشار 'تودوروف' إلى إشكال السرد بحسب علاقة زمن القصة وزمن الخطاب من خلال التضمين أو التسلسل أو التناوب ففي التضمين يمكن للقصة الإطار (القصة الأم) أن تستوعب قصصا فرعية تُحكى ضمنها، وقد نجد هذا الشكل في كتاب ألف ليلة وليلة.

أما التسلسل فهو تتابع حكي قصص متعددة أو أحداث كثيرة وحين ننتهي من حكي الأول نبدأ حكي الثاني، وهكذا قد نجد هذا الشكل في قصص الأنبياء التي تبدأ من الولادة إلى الوفاة.

وأما التناوب فيقصد به 'تودوروف' حكي قصتين معا في آن واحد، وقد نجد هذا الشكل مجسدا في رواية قواعد العشق الأربعون وفيها تناوبت الكاتبة بين قصة جلال الدين الرومي، وقصة البطلة.

وفي موضع آخر يُقيم 'تودوروف' تمييزا آخر بين زمن القراءة وزمن الكتابة، فالأول يتحدد في إدراكنا إياه ضمن مجموع النص، ولا يصبح عنصرا أدبيا إلا بشرط كون الكاتب معتبرا في القصة.[39]

أما الثانية (زمن الكتابة) يصبح عنصرا أدبيا بمجرد ما أن يتم إدخاله في القصة، أو في الحالة التي يتحدث فيها الراوي في حكيه الخاص عن الزمن الذي يكتب فيه، أو يحكيه لنا.[40]

وفي كتابه 'الشعرية' ميَّز 'تودوروف' بين زمنية العالم المقدم (زمن القصة)وزمنية الخطاب المقدم له (زمن الخطاب)، وقد رصد العلاقات القائمة بين هذين المحورين في علاقة النظام والمدة والتواتر هي مقولات جاء بها 'جيرار جينيت' في طرحه لمستويات الزمن الروائي.

خاتمة:

تطورت مقولة الزمن من العلوم الفيزيائية إلى الفلسفة والنحو والسرديات، فتحول من كونه ظاهرةطبيعية إلى فضاء تاريخي، ومن كونه زمنا لسانيا يحدد مركزه برَاهِنِيَّة الخطاب إلى كونه زمنا سرديا، أو هو تقنية سردية يستخدمها النص في تنظيم عالمه وضبط العلاقات بين المفردات وإيقاعات السرعة في حركاته.

إن البنية السردية هي بنية زمنية حركية تتجلى من خلال التسلسل الزمني بين أفقين، أفق التجربة وأفق التوقع، فأما الأفق الأول فيتجه نحو الماضي ويكتسب صياغة تصويرية معينة تنقل تتابع الأحداث إلى نظام زمني فعلي، وأما الثاني فهو مستقبلي يعيد له النص السردي إنتاج تصوراته ويوكل للمتلقي مهمة التأويل.

تناول النقاد عنصر الزمن في الرواية من زاويتين؛ الزمن الداخلي ويتفرع إلى زمن القصة وزمن الخطاب، والزمن الخارجي ويتضمن زمن الكتابة وزمن القراءة، وتحليل البنية الزمنية يقتضي النظر إلى الزمن كتقنية يؤسس الكاتب من خلالها لهندسة الرواية زمنيا تتجلى في خطاطة تتشكل من محورين أساسيين هما محور الأحداث الذي يقابله محور الزمان.

قائمة المراجع:

[1]القديس أوغستينوس: اعترافات، تر: إبراهيم الغريب، دار التنوير للطباعة والنشر، 2015، ص:225.

[2] زينب الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار قباء للطباعة والنشر، 1997، ص:49.

[3] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997، ص:63.

[4]المرجع نفسه، ص: 64.

[5]المرجع نفسه، ص: 65.

[6]Benveniste Emile, Problème de linguistique générale, Ed Gallimard, tome 02, Paris, 1974, p: 73.

[7]Benveniste Emile, Problème de linguistique générale, Ed Gallimard, tome 01, Paris, 1966, P: 237-238.

[8]Ibid, P: 238.

[9]ديكرووشافار: المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، تر: عبد القادر الفهري وحمادي حمود، دار سيناتر، تونس، 2010، ص: 574.

[10]المرجع نفسه، ص: 572.

[11]المرجع نفسه، ص: 573.

[12]المرجع نفسه، ص: 574.

[13]عبد الصمد زايد: مفهوم الرواية ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، دار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط1، 2005، ص: 20.

[14]Paul Ricoeur, temps et récit, Le temps raconté, Ed Seuil, Paris, tome 03, 1985, p: 435.

[15]جيرار جينيت: خطاب الحكاية –البحث في المنهج–، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، 1997، ص: 230.

[16]عبد الصمد زايد: مفهوم الرواية ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص:22.

[17]عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية -بحث في تقنيات السرد-، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط1، 1998، ص: 177.

[18]Paul Ricoeur, temps et récit, l'intrigue et le récit historique, Ed Seuil, Paris, tome 01, 1983, P:17.

[19]Paul Ricoeur, temps et récit, Le temps raconté, p: 12.

[20] كاتب وايلز: معجم الأسلوبية، تر: خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014، ص: 460.

[21] محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص: 246.

[22] جيرار جينيت: خطاب الحكاية -البحث في المنهج-، مرجع سابق، ص: 228.

[23] محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، مرجع سابق، ص: 243.

[24]جيرار جينيت: خطاب الحكاية -البحث في المنهج-، مرجع سابق، ص: 230.

[25]محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، مرجع سابق، ص: 248.

[26]ديكرووشافار: المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، مرجع سابق، ص: 195.

[27]يوسف الأطرش: شعرية المبنى الحكائي والمبنى الحكائي بين معياري الزمنية والسببية –نموذج الرواية الجزائرية–، بحوث سيميائية، مج 04، ع 06، 2009، ص: 256. مفهومي المبنى والمتن أن عملية التمييز بينهما مسألة بديهية، وأن التميز بين زمن المتن وزمن المبنى أكثر بداهة، فأما الزمن الأول فهو الزمن الذي يفترض أن تكون الأحداث قد وقعت فيه، وأما الزمن الثاني فهو زمن يتطابق مع زمن القراءة

[28]المرجع نفسه، ص: 272.

[29]أ.أ مندولا: الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ص: 23.

[30]سعيد يقطين، القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص: 294.

[31]أحمد محمد التميمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، ط1، 2004، ص: 48.

[32]سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997، ص: 76.

[33]المرجع نفسه، ص: 77.

[34]إبراهيم السيد: نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء، القاهرة، ط1، 1985، ص: 113.

[35] أحمد محمد التميمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص: 49.

[36]Barthes Roland: introduction à l'analyse structurale des récits, communication, 08, recherches sémiologiques: l'analyse structurale du récit, 1966, p: 10.

[37]رولان بارت: التحليل النصي، تطبيقات على نصوص التوراة والإنجيل والقصة القصيرة، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2009، ص: 28.

[38] حسن بحراوي: بنية العمل الروائي، المركز الثقافي، ط 01، 1990، ص: 115.

[39] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص: 74.

[40]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.